الاكتفاء الغذائى والأمن القومى العربى

أ.د. مصطفى فايز
كلية الطب البيطرى
جامعة قناة السويس

يمثل الغذاء بجانب الكساء والمأوى الأركان الأساسية لاستمرار الحياة بأمان، ومن أجل أن تتواصل مسيرة التنمية البشرية والاجتماعية خاصة فى مجالات الصحة والتعليم والتحضر والديمقراطية وحماية حقوق الإنسان. كان الإنسان الأول يخشى الموت جوعًا لذلك تعلم عادة الجمع والالتقاط وذلك بتخزين بعض المواد الغذائية فى حفر يحفرها ليعود إليها عند الحاجة وهو ما يطلق حديثًا «الادخار». الاكتفاء الغذائى يعنى القدرة على إنتاج ما يكفى من الأغذية لتلبية احتياجات السكان من الغذاء أو أن تكون لديه الأموال الكافية لشراء هذه الاحتياجات من الأسواق، فى حين أن الأمن الغذائى يرتبط بمدى توافر مخزون من المواد الغذائية الأساسية يستطيع البلد اللجوء إليه فى حالة حدوث كوارث طبيعية تقلل من إنتاج الغذاء أو فى حالة حصول ذلك على المواد الغذائية التى تنقصه عن طريق استيرادها من الخارج.

إن عدم التوازن بين الموارد الطبيعية وزيادة السكان ونمو احتياجات الإنسان والتباين البيئى والمناخى والطبوغرافى للمكان والتوزيع غير العادل للمصادر الأولية.. تعتبر عناصر للمشكلة الغذائية، ناهيك عن سيطرة فئة قليلة من دول العالم على موارد إنتاج الغذاء بالترغيب والإغراء تارة وبالترهيب والقوة تارات أخرى!!

إن ٦٠٪ من سكان العالم ينتجون ٣٠٪ فقط من الغذاء فى حين أن ٤٠٪ من سكانه ينتجون ٧٠٪ من الإنتاج العالمى للغذاء.

تشير الإحصائيات إلى أن أكثر من مائة ألف شخص معرضون للموت جوعًا كل يوم وأن أمراض سوء التغذية ستودى بحياة عدد مماثل فى نفس اليوم وسيتعرض حوالى بليون نسمة من الرجال والنساء والأطفال للبؤس والحرمان والضعف الجسمانى والتخلف العقلى الناتج عن الجوع ونقص التغذية بما يتراوح ما بين عشرة وعشرين مليون نسمة سنويًا.

فى تقرير لمنظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة الفاو (FAO) أن ثلث أطفال العالم يموتون جوعًا قبل أن يبلغوا الخامسة من

أعمارهم بسبب سوء التغذية وأن حوالى ٢٥٠ مليون نسمة يعانون نقصًا خطيرًا فى التغذية.

الغذاء.. سلاح العصر

لقد أضحى الغذاء سلاحًا بين الدول بعد أن اضمحلت عناصر القيم والفضيلة والأخلاق وطغت على المجتمعات والأفراد الأنانية وعدم التعاون وغطرسة القوة والظلم والعدوان؟!

على كل حال ففى دراسة عن التنمية البشرية والنمو فى الوطن العربى أعدها ريتشارد جولى المستشار الخاص لمدير برنامج الأمم المتحدة للتنمية..ورد أن العمر المتوقع للفرد زاد ١٧ عامًا عن مثله فى عام ١٩٦٠م وأن الطفل العربى

أضحى الغذاء سلاحًا بين الدول.. بعد أن اضمحلت عناصر القيم والفضيلة والأخلاق.. وطغت على المجتمعات والأفراد الأنانية وعدم التعاون

يتوقع أن يعيش ١٧سنة أكثر من والديه (مع ملاحظة أن الأعمار بيد الله) وأن ١٥٪ من العرب لا يتوقع لهم الحياة أكثر من أربعين عامًا، ٦٠ مليونًا من العرب البالغين أميون وحوالى ٥٠ مليونًا لا تصلهم المياه الصالحة للشرب (يصل سكان العرب حوالى ٢٥٠ مليون نسمة) وحوالى ٣٠ مليون شخص لا يتمتعون بالخدمات الصحية الأساسية، وأن حوالى ٦٠ مليون عربى يستنشقون هواء ملوثًا

وحوالى خمسة ملايين طفل تحت سن الخامسة يعانون سوء التغذية وأربعة ملايين طفل غير ملتحقين بالمدارس وأن ٥٠٪ من النساء العربيات البالغات أميات!!

إن صادرات جميع الدول العربية غير البترولية تساوى صادرات فنلندا التى يبلغ عدد سكانها خمسة ملايين نسمة، فى حين أن الرأسمال العربى المستثمر فى الخارج يزيد على ٣٥٠ مليار دولار أمريكى مقارنة مع اجتذاب الدول

العربية لأقل من ٣٪ من الاستثمار الأجنبى.

إستراتجية طموحة

إن اعتماد الوطن العربى على استيراد الغذاء سيتضاعف ثلاث مرات فى الأعوام المقبلة إذا لم ننتبه ونبدأ استراتيجية واقعية وطموحة وفاعلة يتعاون الجميع على تنفيذها.

إن نصيب الفرد العربى على الواردات الغذائية سيزيد من مائة دولار أمريكى إلى ٣٠٠ دولار سنويًا.

السكان فى الوطن العربى بشكل عام يعتمدون على المصادر النباتية لتأمين ما يحتاجونه من بروتينات وسعرات حرارية، وتتراوح حاجة الإنسان من الطاقة الغذائية فى اليوم ما بين ٢٤٠٠ - ٢٦٠٠ كالورى منها ٢٢٥٠ كالورى من مصادر نباتية ٢٣٠ كالورى من مصادر حيوانية.

إن الفرد العربى يستهلك حوالى مرة ونصف ما يستهلكه الفرد الأمريكى من القمح والأرز، فى حين أن الفرد الأمريكى يستهلك من اللحوم ومنتجاتها حوالى ثلاثة أضعاف ما يستهلكه الفرد العربى وعشرة أضعاف ما يستهلكه الفرد العربى من البيض وضعف ما يستهلكه الفرد العربى من الحليب ومنتجاته، ويستهلك الفرد الأمريكى سبعة أضعاف ما يستهلكه الفرد العربى من اللحوم الحمراء والأسماك!!

إن قضية النقص الغذائى فى الدول العربية تحتاج إلى استثمارات كبيرة فى الزراعة، مع التوظيف الأمثل للقدرات والخبرات

استيراد الوطن العربى للغذاء سوف يتضاعف ثلاث مرات خلال الأعوام القليلة المقبلة - إذا لم يشرعوا فى بناء خطة طموحة لمواجهة هذا التحدى

العربية والوطنية حيث إن الفجوة الغذائية تكمن فى زيادة الطلب على المنتجات الغذائية مع قلة الإنتاج، إضافة إلى زيادة أسعار المواد الغذائية من الدول المصدرة سواء لأسباب اقتصادية أو سياسية أو غيرها!!.

تدهور الإنتاج الزراعى العربى:

كما أن الهبوط المستمر لإنتاجية الفلاح العربى نتيجة لاستعمال أساليب بدائية أو تقليدية غير متطورة وتدهور الثقافة الزراعية وقلة استعمال المخصبات والمكائن الزراعية والتقنية الحديثة سواء فى الرى أو الزراعة واستخدام البذور وقلة الحقول التجريبية والمزارع البحثية وتدريب الفلاحين.. كل هذه العوامل ساعدت على تدهور

الإنتاج الزراعى فى الدول العربية، ناهيك عن عدم التكامل بين الدول العربية لاستخدام الفائض فى دولة ما لسده فى قطر آخر؛ مثل العمالة والمياه والأراضى ورؤوس الأموال والخبرات والتقنية الحديثة فى زراعاتها مثل تكثيف الإنتاج الزراعى حيث وصلت نسبة التسميد للأراضى حوالى ٣٨٧ كجم للهكتار (الهكتار يساوى ٢,٤فدان).

إن إعطاء الأولوية المطلقة للصناعة فى سياساتنا التنموية يحتاج إلى إعادة نظر لأسباب كثيرة لا مجال هنا لسردها، فقط نذكر أن قدراتنا التنافسية فى مجال الصناعة وخبراتنا التكنولوجية فى الوقت الحالى على الأقل لا ترقى إلى مصاف الدول المتقدمة، فما زلنا نستورد التكنولوجيا ولا ننتجها!! فالصناعة الحقيقية القادرة على التنافس العالمى تحتاج إلى رؤوس أموال كبيرة وعدم وجود تكامل عربى حقيقى ومخلص يساعد كثيرًا على زيادة الهوة بين الرغبات والأمانى والواقع الملموس.

الوطن العربى عليه أن يركض ليسد الفجوة فى مجال الغذاء «فمن لا يملك قوته لا يملك قراره» والبيئة العربية صالحة للاكتفاء الذاتى وتأمين الوطن العربى من الاخطار، فعناصر النجاح متوافرة إذا خلصت النيات «الأرض – المياه – العمالة – رؤوس الأموال – الأسواق».

لقد ساعد العلم والقفزات التكنولوجية المتلاحقة على الإنسان سبل التكيف مع البيئة وتحقيق ذاته وطموحاته، فيمكن التغلب على الظروف المناخية المتغيرة باستخدام الزراعة المحمية، ويمكن مواجهة ندرة المياه باستخدام الرى بالتنقيط أو الرى بالرش، ويمكن الزراعة فى وسط مائى أى زراعة بدون تربة (Hydro ponic) أو وسط هوائى (Air ponic) كما يمكن معالجة التربة الرملية وتحلية مياه البحر واستخدام نباتات وزراعات تقوم على المياه المالحة وتوظيف الهندسة الوراثية فى الزراعة والمحاصيل، والتدريب المتواصل للكوادر والأيدى العاملة والاستفادة بالخبرات العالمية ونتائج الأبحاث العالمية فى الزراعة.

خطة عربية لتحقيق الأهداف الحيوية:

إن تحقيق تنمية زراعية وحيوانية وداجنة وسمكية ، سوف يؤدى إلى الاكتفاء الذاتى ويؤمن القرار العربى ليس بالحلم أو الأمانى البعيدة المنال، فجميع معطيات وعوامل النجاح متوافرة.

ويمكن أن نذكر بعض ملامح السياسة والخطة أو الاستراتيجية العربية لتحقيق هذه الأهداف الحيوية فى التالى:

- تنمية الموارد البشرية فى الوطن العربى عن طريق التثقيف والتدريب المستمر.
- وضع قاعدة معلومات للموارد الطبيعية فى المنطقة العربية لإيجاد ترابط عضوى لأجهزة الإنتاج الزراعى والحيوانى.
- توفير البذور الملائمة للبيئة العربية وكذلك توفير السائل المنوى المناسب لحيواناتنا وتحقيق تطور تكنولوجى والأخذ بالمعايير العلمية.
- تعزيز زيادة الإنتاج الزراعى والحيوانى أفقيًا ورأسيًا.
- التوسع فى إنتاج الأسماك والثروة الحيوانية (تحسين أسلوب الرى ومكافحة الآفات والأوبئة – استخدام أعلاف محلية).
- الاستفادة من الخبرات الأجنبية والمعارف العالمية فى مجال التنمية الزراعية.
- التكامل الفنى والمالى وتبادل الخبرات وفتح الأسواق الزراعية بين الدول العربية.
- وضع آلية تنفيذية وبرامج زمنية محددة للتكامل العربى فى مجال الغذاء.